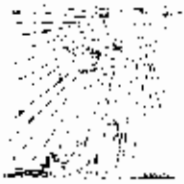

الدراسات العربية
في أميركا[1]

للدكتور قسطاكي حمارنة

تحدثنا إليكم في حديث سابق عن الأسباب التي جعلت الدراسات الشرقية عامة في أميركا في النصف الأول من هذا القرن لا توازي في الأهمية غيرها من الدراسات، ولكننا أشرنا إلى أنه في السنين الأخيرة ظهرت نزعة قوية لمتابعة هذه الدراسات وعلى الأخص الدراسات العربية وابتعادها بحثاً وتنقيباً في نواحيها المتعددة قبل بضعة سنين كان الفرد الأميركي اذا حاول التخصص في العربية وآدابها أو في التاريخ الاسلامي قوبلت رغبته بالاستهجان، واذا ما حاول أن يقنع أصحابه بأهمية هذه المواضيع للدرس والبحث ارتسمت على وجوههم ابتسامة خفية ملؤها الهزء والسخرية وكأنهم يقولون — مسكين فلان، فانه دائماً يقتحم المواضيع الغريبة المستهجنة، ولو كانوا يدرون لما استخفوا به ولعلموا أن هذه المواضيع ما هي بالغريبة ولا بالمستهجنة، فالعربية التي يحسنها مليونا من البشر واللغة الدينية لثلاثمائة مليون من المسلمين، والحضارة الاسلامية التي ضمت العالم الكثير من العلوم والفنون التي تعتبر اليوم من أساس الحضارة العالمية.

ولكن هدم التشجيع هذا ما كان ليفت في عضد البعض الذين رأوا بثاقب بصرهم أهمية الدراسات العربية فتخصصوا فيها وراحوا يبحثون عن كنوزها ثم عرضوها للمستشرقين والمستهجنين فأخذوهم ثم بعثوا جهودهم شطر الأحوال الحاضرة في البلدان الإسلامية وأخذوا يدرسون نواحيها المتعددة من سياسية واقتصادية واجتماعية وهم تقوية العلائق الودية بين تلك البلدان وأميركا فأظهروا أهمية هذه البلدان وشعبها ثقافتها في

(١) (حديث أذاعه من « صوت أميركا » وناص به القطب).

... عالم واحد وانه العربي قوي الوصال ، عندها تنبهت المؤسسات العلمية الأميركية إلى أهمية البلدان الشرقية عامة والبلدان العربية خاصة وأهمية تاريخها في تنمية الحضارة العالمية ومقوماتها .

وكان أول هذه المؤسسات جامعة برنستون فإنها قامت في السنين الأخيرة برنامجاً للدراسات الشرقية يجعل الطالب يستطيع أن يتخصص في شئون الشرق الأوسط ولما يزل في صفوف البكالوريا ، فانه يدرس العربية والتركية والفارسية مثلاً ويتخصص في التاريخ الإسلامي حتى اذا نال شهادة البكالوريا أصبح بإمكانه استعمال لغتين على الأقل من هذه اللغات في البحث والتنقيب عندما يدخل كلية المتخرجين ويباشر دراساته العالية التي ترمي إلى نيل درجة الدكتوراه في هذه المواضيع .

وكان مما لاقته جامعة برنستون من النجاح في برنامجها ، مثل إقبال الطلبة على الانخراط في سلكه وتنجيم الهيئات الرسمية والصناعية له وللاجتماعات والمؤتمرات التي يعقدها بين الحين والآخر لدى بعض نواحي الشرق الأوسط . كذلك هذا النجاح الذي لاقته حافزاً للمؤسسات العلمية الأخرى على النسج على منوالها فهاهي ذي جامعة مشيجان توسع دائرتها الشرقية لتقيم برنامجاً خاصاً بالشرق الأوسط وبحضارته . فبعد ما كانت تلك الدائرة منصرفة الى تاريخ شعوب الشرق الأدنى القديمة ، أصبحت اليوم تهتم أيضاً بما يجري في الشرق الأدنى الحديث من أحداث وميول ، وقد أقامت كل من جامعة مشيجان وجامعة هارفرد في هذا الصيف دورة صيفية لدراسة نواحي الحياة في الشرق الأوسط واستدعت الخبراء من الجامعات الأخرى في هذه البلاد وفي غيرها ومن الحكومة الأميركية للمحاضرة في موضوع اختصاصهم . فحاضر أحدهم عن الشريعة الاسلامية وآخر عن التاريخ الإسلامي وثالث عن مقومات الاجتماع ورابع عن المشاكل السياسية وخامس عن التنظيم الاقتصادي وهكذا ، وذهبت جامعة مشيجان إلى أبعد من هذا بأن قدمت دروساً لتعليم مبادىء العربية في تلك الدورة الصيفية ، ورائدها تحبيب هذه اللغة للطلاب لكي يتابعوها في الدورة العادية من السنة المدرسية .

أما الجامعات الأخرى التي كانت تقدم دروساً بالعربية في قسم المتخرجين منها فلا تزال تعرض هذه الدروس وتحاول زيادة نشاطها في هذا المضمار .

ولعل من أهم التطورات في هذا السبيل قيام معهد دراسات الشرق الأوسط في واشنطون العاصمة قبل سنوات قليلة ، وهذا المعهد يعنى بدراسة النواحي المتعددة

من حياة الشرق الأوسط ويحاضر فيه (عدا أساتذته) جماعة من موظفي الحكومة الأميركية الذين يتزود بتقاريرهم الشرق الأوسط، وبذلك يستطيع الطلبة الاستفادة من الخبرة العلمية التي جمعها تلك الجماعة في ميدان اختصاصها.

وينشر الرجال المتصاون بهذا المعهد مجلة بالانجليزية تدعى «مدل أيست جورنال» وهي تعد من أفضل المجلات من نوعها في العالم، فهي تنشر نشرها المقالات عن مختلف شئون الشرق الأوسط من سياسية واقتصادية واجتماعية وتقدم تقاريظ للكتب التي تلم بمواضيع شرقية وقائمة مسلسلة بالحوادث التي جرت في الشرق الأوسط منذ صدور العدد السابق من المجلة، وقائمة بالمقالات التي نشرت في المجلات الأخرى من غربية وشرقية والتي تدور حول نواحي الشرق الأدنى.

وقد بلغ اهتمام الأوساط العلمية الأميركية بشئون الشرق الأوسط درجة حدت بمجمع الجمعيات العلمية الأميركية إلى إقامة لجنة خاصة تهتم بتلك الشئون.

وقد أعدت هذه اللجنة تقريراً صدر في السنة الماضية ضمنته آراءها في هذا الموضوع وحثت فيه على توسيع نطاق دراسات الشرق الأوسط توسيعاً كبيراً كي تتناسب تلك الدراسات مع أهمية تلك المنطقة من العالم في هذا العصر الحديث، وفي الوقت نفسه رأت تلك اللجنة أنه من الأهمية بمكان أن يتعرف الأميركيون الى ما يكتب وينشر في الشرق الأوسط من كتب ومقالات كي يتم التعاون بين الشعب الأميركي وشعوب ذلك الشرق، فانتوحت في تقريرها ترجمة قسط وافر من الكتابات الحديثة من العربية والتركية والفارسية إلى الانكليزية. وختاماً أحث سكرتير ذلك المجمع على مباشرته انجاز هذا المشروع الجليل وشرع بعد السنة وينتقي المترجمين للقيام به.

وخلاصة القول إن في الولايات المتحدة اليوم ميلاً قوياً ملحوظاً لدراسة شئون الشرق الأوسط عامة والبلدان العربية خاصة ويبرهن هذا الميل على اهتمام الأميركيين بمشاكل ذلك القسم من العالم وماضيه وحاضره ومستقبله، وبآماله وأمانيه كي يتم التفاهم بين شعوبه وبين الشعب الأميركي الذي يضمر لها الخير والسعادة.